مجلة وعي للعلوم الإنسانية
العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ٢٦٩-٢٧٤
مجلة وعي للعلوم الإنسانية
Waai Journal for Hummanities
ISSN: 3104-9125
E-ISSN:3104-9117

مقال مراجعة موضوع

البعد النقدي في كتاب إعادة كتابة الموروث في الكتب الشعرية المعاصرة للدكتور علي سرمد

Review Article
The Critical Dimension in the Book "Rewriting Heritage in Contemporary Poetic Books" by Dr. Ali Sarmad

م.د. هبة قاسم بلجي

Dr. Hiba Qasim Balji

المديرية العامة للتربية في محافظة واسط

hbalchi@uowasit.edu.iq

الكلمات المفتاحية

إعادة الكتابة، الموروث، الكتب الشعرية، التفكيك.

الملخص

يعد كتاب –إعادة كتابة الموروث في الكتب الشعرية المعاصرة (بحث في تفكيك أواصر الفكر الوثوقي) للدكتور علي سرمد، الصادر عن مؤسسة الانتشار العربي(٢٠٢٢)، والذي يقع في مائتي وسبع وعشرون صفحة– من الكتب الرائدة التي تعاملت مع الموروث انطلاقا من نظرية إعادة الكتابة، بعد التأسيس لها انطلاقا من فلسفة دولوز ودريدا، إذ سعى المؤلف من خلال هذه النظرية إلى تفكيك الخطاب الوثوقي في الفكر العربي من خلال تحليل خمسة كتب شعرية معاصرة تعيد كتابة الموروث بأدوات تفكيكية، حيث تناول موضوعا حيويا ومعاصرا يتعلق بكيفية تعامل الأجيال الحالية مع التراث الثقافي والفكري، بعيدا عن الجمود أو التحجر، وقد اعتمد بذلك على إطار نظري مستمد من فلسفة الاختلاف، خاصة أفكار جيل دولوز وجاك دريدا، ليبني مفهوم إعادة الكتابة بديلا عن إعادة القراءة التقليدية، مؤكدا على دور الشعر في تحرير الفكر من الثوابت الميتافيزيقية.

KEY WORD

Rewriting, Heritage, Poetry Collections, Deconstruction.

Abstract

The book Rewriting Heritage in Contemporary Poetry Collections (A Study in Deconstructing the Bonds of Authoritarian Thought) by Dr. Ali Surmad, published by the Arab Diffusion Foundation (2022) and spanning 227 pages, is a pioneering work that approaches heritage through the lens of "rewriting" theory. This theory is grounded in the philosophy of Deleuze and Derrida. Through this theoretical framework, the author seeks to deconstruct the discourse of certitude in Arab thought by analyzing five contemporary poetry collections that rewrite heritage using deconstructive tools. The book addresses a vital and contemporary topic concerning how current generations engage with cultural and intellectual heritage, moving beyond rigidity or fossilization. In doing so, it relies on a theoretical framework derived from the philosophy of difference, particularly the ideas of Gilles Deleuze and Jacques Derrida, to build the concept of "rewriting" as an alternative to traditional re-reading. It emphasizes the role of poetry in liberating thought from metaphysical certainties.

منهجية الكتاب وفصوله:

يُعرِّف الدكتور علي سرمد إعادةَ الكتابة بأنها فعل معرفي جذري، وليست عملية ترميمية؛ فهي فعل يقاوم منطق الوثوق المطلق، ويهدم السرديات الكبرى الجامدة، وينتقل بالموروث من دائرة التكرار العقيم إلى فضاء الاختلاف الخلّاق والإنتاج المتجدد. فيُقدِّم كتابه للقارئ بعدّه أطروحة فكرية تعمل على مستويين متكاملين: تأسيسي ورؤيوي. فعلى مستوى التأسيس يسعى إلى صياغة مفهوم إعادة الكتابة انطلاقا من منهجية التفكيك أو ما يُعرف بالتجريبية الجذرية. وأما على مستوى الرؤية، فيهدف إلى بناء تصورٍ جديدٍ للموروث، لا يقوم على إعادة إنتاج الأفكار القديمة واستنساخها بلا وعي، إذ يُعيد قراءتها من منظور المعاودة التي تحمل في طياتها الاختلاف، فكل عودة إلى الموروث هي إعادة خلقٍ له، لا تكرار له. وهذا المسعى الفكري ماهو إلاّ تعبير عن صورة العالم الجديد الذي نعيشه. فقد كان الفكر سابقا في تجلياته الوثوقية يشدّ جميع خيوطه نحو مركزية أحادية، ومنطق شمولي، وتماهٍ مطلق مع ما يُصوَّر على أنه الحقيقة. أما اليوم وبمقتضى منطق إعادة الكتابة، فإن الفكر يتجه نحو التعددية، ويحتفي بالاختلاف، ويتحول إلى قوة إنتاجية مستمرة. ويعود سبب هذا التحول الجوهري إلى أن إعادة الكتابة ترفض النظر إلى العالم والتاريخ بمنظورين سائدين: الأول هو

المنظور الغائي الذي يفسر حركة التاريخ بمنطق مجرد، ومسارا خطيا نحو غاية مثلى أو فكرة للتقدم، معتمدا على سرديات كبرى جاهزة. والثاني هو المنظور الدائري، الذي يبحث عن أصول ثابتة ومطلقة، ويعتقد بدوران التاريخ في حلقة مغلقة. بدلا من ذلك، تنظر إعادة الكتابة إلى العالم والتاريخ على أنهما مجالان للاختلاف المحض، حيث لا وجود لجوهر ثابت ولا لغاية محددة سلفا. وبهذا يصبح جوهر الفكر الحقيقي – في هذه الرؤية – هو المقاومة المستمرة للمسلّمات والبديهيات، ورفض التماهي معها دون مساءلة. إنه يقف في الضد من منطق الهُوية والتماثل والثبات. وهذا التصور بالذات هو ما تجسّده الكتب الشعرية المعاصرة التي يتناولها الكتاب، لما تتمتع به من روح تفكيكية، تقوض منطق المشابهة والاستدلال الثابت، وتخرق كل من الرؤية الخطية المستقبلية والرؤية الدائرية الماضوية للموروث. فالموروث في الرؤية التقليدية غالبا ما كان يُتعامل معه وفق مبدأ غائي، يضفي قداسة على حقائقه ويعتبرها مسلّمات نهائية. أما في ظل إعادة الكتابة، فيتحول الفكر من مهمة الكشف عن حقيقة جاهزة، إلى مهمة إنتاج الحقيقة باستمرار. وبذا لم يكتف عليّ سرمد في مؤلفه بتحليل النصوص الشعرية، إنما قدّم إسهاما نظريا رئيسيا يتمثل في اجتراح مفهوم إعادة الكتابة أداة تحليلية ومنهجية جديدة. وتبنى في مسعاه التحليلي منهجية تركّز على مفهوم إعادة الكتابة التفكيكي، متقصيا أبعاده عبر فصول متسلسلة ومترابطة، تسعى مجتمعة لتُفكّك أواصر الفكر الوثوقي وإعادة بناء تصور جديد للموروث. لذا قسّم الكتاب إلى تمهيد وثلاث فصول، أما التمهيد فقد أسس فيه الكاتب لأطروحته القائمة على التفكيك والتجريبية الجذرية، مستندا إلى فلسفة جيل دولوز وجاك دريدا، وتراهن هذه المنهجية–كما يرى الباحث–"على تفكيك وتجاوز صورة الفكر الوثوقية القائمة على التماثل والحضور من جهة، وبناء فكر قائم على الاختلاف من جهة أخرى"[١]، وتنماز هذه التجريبية بوصفها فعلا لإعادة الكتابة بتحرير الفكر من وهم الحقيقة كغاية للفكر والقول بالمعنى والقيمة، لأنها بحث في إمكان شروط التجربة وليس وقوفا عندها، أي منفتحة على الوجود في اختلافه وتعدده[٢]. إذ تتكون إعادة الكتابة من مفهومين فلسفيين هما الاختلاف بما هو سيمولاكر، والمعاودة. أما السيمولاكر صورة شيطانية تخلو من المشابهة، لأنه لا يحظى بصورة الهو هو، وإنما يحظى بالاختلاف واللاتشابه، لأنه الطي الخالص الذي يهدّد فكرة الاستنساخ ومنطق الاحالة والأصل. أما المعاودة فهي الآلية التي يعمل على وفقها الاختلاف[٣]، هذا فضلا عن مفهوم الكتابة الجذرومية التي تهدم التسلسل الهرمي لصالح التعددية، مع التركيز على نقد ميتافيزيقا الحضور والتمثيل.

---

(١) إعادة كتابة الموروث، بحث في تفكيك أواصر الفكر الوثوقي، د. علي سرمد، مؤسسة الانتشار العربي، بروت، ٢٠٢٢: ١٢.

(٢) ينظر: فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف، عادل حدجامي، المغرب، ٢٠١٢: ٢٨، ٨٧.

(٣) ينظر: أسس الفكر الفلسفي المعاصر، عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩١: ١٠٠، وينظر: إعادة الكتابة. ٢٩.

أما الفصل الأول الموسوم بـــ(مساءلة الأنساق المعيارية) فيركز فيه على تحديد مفهوم الموروث وطبيعته، ويتناول تعريفات مختلفة للموروث، وكيفية تشكله عبر التاريخ، وأهميته في بناء الهوية الثقافية، ويطرح أيضا إشكالية التعامل مع الموروث التي تتراوح بين التقديس والتجاوز، ويمهد للمقاربة النقدية التي سيتبناها الكتاب في فصوله اللاحقة. فيناقش فيه تفكيك سلطة العقل، ويحلل خطاب الجنون والرغبة في نصوص شعرية من كتاب (أخبار مجنون ليلى) لقاسم حداد و(الكتاب أمس المكان آلان) لأدونيس، مشيرا إلى كيف تعيد هذه النصوص كتابة الموروث لتفكيك الهيمنة العقلانية. وينقد النظام الأبوي ويفككه، فيعرج الى البنى الذكورية، ومساءلة نسق الولاء القبلي والهويات الجمعية، ويناقش دور الشعر في تحرير الذاكرة من الهيمنة الذكورية، كما في كتاب (طرفة بن الوردة) لقاسم حداد و(كتاب الحب) لمحمد بنيس.

وبعدها ينتقل للفصل الثاني الموسوم بـــ(الوجود مكتوبا) الذي يسعى فيه إلى اخراج الموروث من فكرة المدلول المتعالي ومن فكرة الأصل الثابت الذي يؤسس الوجود على وفق معايير مسبقة، أنه لا يمكن بناء عالم وسطي محايث، يؤمن بالاختلاف، من غير تفكيك أواصر ميتافيزيقيا الحضور التي بُني عليها الموروث، ويناقش أهمية التفكير النقدي في التعامل مع النصوص التراثية، وكيفية استخلاص المعاني الجديدة منها دون المساس بجوهرها. ويتطرق أيضا إلى دور العقل في إعادة بناء الفهم للموروث، وضرورة التحرر من القراءات الجامدة. فنجده يتحدث عن يتحدث تفكيك الثنائيات مثل التطابق والدليل، يفتتح الفصل على فكرة أن الوجود نفسه يختزل في اللغة والكتابة، فيتحول الزمان إلى سطور، والراوي إلى صوت ينبعث من بين الصفحات، حتى الأصل نفسه يصبح نصا يفكك ويعاد تركيبه. ثم ينتقل البحث إلى تفكيك الأدلة والمرجعيات، فيسائل الروايات التاريخية ويقلب منطق الإحالة، معتمدا على نصوص مثل كتاب (طرفة بن الوردة) و(أخبار مجنون ليلى) و(يا هذا تكلم لآراك)، وصولا إلى (الكتاب أمس المكان آلان) لأدونيس، الذي يبدو بمثابة مرآة تعكس تشظي المعنى، فيحلل نصوصه الشعرية، ليثبت إنها تعيد تشكيل العلاقة بين اللغة والوجود.

أما الفصل الثالث الموسوم بـــ(الاختلاف والتواطؤ) فقد بيّن فيه أن الاختلاف هو الأصل ولا يوجد شيء قبله، إذ يصبح منطق الهوية والحقيقة جزء منه وليس العكس[١]، وذلك من طريق محورين رئيسين هما: تفكيك الهوية والحقيقة، مع إبراز دور الشعر في خلق خطاب مضاد للأنساق الثابتة. ويجري تطبيقات عملية على نصوص شعرية ليقدم من خلالها أمثلة على كيفية إعادة كتابة الموروث في مجالات مختلفة، مثل الأدب، الفن، أو الفكر، ويناقش التحديات التي تواجه هذه العملية، مثل مقاومة التغيير، أو سوء الفهم، أو الخلط بين الأصالة والمعاصرة. ويطرح أيضا رؤية مستقبلية لكيفية استثمار الموروث وتحويله إلى قوة دافعة للتجديد والإبداع، ويؤكد على أن إعادة الكتابة هي عملية

(١) ينظر: إعادة الكتابة: ١٦٧.

مستمرة تتطلب وعيا دائما بالتغيرات المحيطة، فيغوص في لعبة الهويات المتغيرة، حيث يفكك الهوية كجذمور متشعب لا جذر ثابت له، ويستحضر النصوص نفسها كشاهد على هذا التمرد ضد الثبات، ثم ينتقل إلى تفكيك فكرة الحقيقة ذاتها، فيعارض الرؤى الجاهزة، ليكشف عن هشاشتها، بينما تظل كتب مثل: (يا هذا تكلم لآراك)، و(الكتاب أمس المكان آلان) حاضرة تتكرر أصداءها وكأنها تذكير بأن الحقيقة، في النهاية، ليست سوى سرد آخر. وهكذا يتحول الكتاب إلى رحلة في عوالم النصوص التي تخلق الوجود ثم تفككه، وتصنع الحقيقةَ ثم تعترض عليها، في دائرة لا تنتهي من الكتابة والمساءلة.

البعد النقدي للكتاب:

وبعد هذا التقديم الموجز لمنهجية الكتاب وفصوله يمكن القول إنّ أهم ما انماز به هو الجرأة النقدية التي يتحدى بها مسلمات الفكر العربي، ليقدم في الوقت ذاته قراءة غير تقليدية للموروث مستفيدا من مفاهيم ما بعد الحداثة، لأن ما يطمح إليه هذا البحث هو بناء تصوّر جديد للموروث غير قائم على اجترار الفكر واستنساخه في كل مرة لنكون أمام المستقبل، وإنما النظر إليه من باب المعاودة والاختلاف، هذا فضلا عن أسلوبه النقدي والعملي في الكتابة، ويمكننا أن نوجز إسهامات الكتاب في هذا المجال بما يأتي:

١-يقدِّمُ الكتاب قراءة محكمة لفلسفة دولوز ودريدا، موضحا كيف يمكن توظيفها في النقد الأدبي، خاصة في تفكيك الثنائيات (العقل/الجنون، الذكر/الأنثى).

٢-يتميز بقراءة تفكيكية للنصوص الشعرية، كاشفا عن آليات اشتغالها في الموروث، فمثلا نجده يقرأ مجنون ليلى من كونه شخصية هامشية إلى رمز للتمرّد على العقلانية الأحادية.

٣-يكشف آليات الهيمنة في الخطابات الثقافية عن طريق نقده للثقافة العربية التي تكرس سلطة (العقل، الأبوية، القبيلة)، ويقترح نموذجا بديلا قائما على التعددية والاختلاف.

٤-يثري الكتاب الحوار الفكري حول قضايا الهوية، التراث، والتجديد. فهو يقدم منظورا جديدا لهذه القضايا، ويشجع على التفكير النقدي فيها، بعيدا عن الأحكام المسبقة أو التعصب، فهو يربط بين الموروث والهوية، مؤكدا أن الهوية الحقة لا تكمن من طريق التقوقع حولها، إنما عن طريق قابليتها على الاختلاف والتعدّد، لأن هذا الفعل الأخير بات سابقا لها.

٥-يسهم الكتاب في تجديد النظرة إلى الموروث، وتحويله من مجموعة من النصوص الجامدة إلى كيان حيوي متجدد يتفاعل مع الواقع ويتأثر به، وهذه النظرة تفتح آفاقا جديدة للبحث والدراسة، وتشجع على التعامل مع التراث بروح نقدية وإبداعية، فهو يرفض النظرة الجامدة للموروث التي تعده نصا مقدسا لا يمكن المساس به، لأنه قابل للتأويل وإعادة الكتابة.

٦- يفتح الكتاب الباب أمام فهم أعمق للتراث، ويدعو الى تجاوز القراءات السطحية التي قد تحصره في إطار زمني أو فكري معين مؤكدا على أهمية التعامل النقدي مع الموروث، وذلك من أجل فهم السياقات التي نشأ فيها، وتحديد مدى صلاحيته للعصر الحالي، فيقدم نموذجا نقديا جديدا لقراءة التراث ويقترح بدائل إبداعية للتعامل مع الموروث وتجديد مفهومه، ومنها تجاوز الثنائيات التقليدية التي غالبا ما تحكم النقاش حول الموروث، مثل الأصالة والمعاصرة، أو التراث والحداثة. فهو يرى أن هذه الثنائيات ليست متناقضة بالضرورة، إذ يمكن أن تتكامل وتتفاعل لإنتاج رؤى جديدة.

٧- يلقي الكتاب الضوء على الدور المحوري للمثقف في عملية إعادة كتابة الموروث. فالمثقف ليس ناقلا للمعرفة، إنما هو وسيط فعال يقوم بفك رموز الموروث وإعادة تركيبها بطريقة تخدم قضايا المجتمع المعاصر، هذا الدور يتطلب من المثقف امتلاك أدوات التحليل النقدي، والقدرة على الربط بين الأصالة والمعاصرة.

وجدير بالتنويه أن أهمَّ مأخذ على الكتاب أنه موجه لذوي الاختصاص في مجال الفكر والنقد.

الخاتمة:

يطرح الكتاب تساؤلات جوهرية حول طبيعة الموروث، ودوره في تشكيل الوعي الجمعي، وإمكانية إعادة إنتاجه بما يتناسب مع متطلبات العصر فعملية إعادة الكتابة التي يشير إليها عنوان الكتاب لا تعني بالضرورة محو الماضي أو إنكاره، إنما هي دعوة إلى إعادة قراءة وتأويل هذا الموروث في ضوء التحولات المعاصرة. هذا الطرح يفتح الباب أمام تساؤلات فلسفية عميقة حول طبيعة الهوية، وكيف تتشكل من خلال هذا التفاعل المستمر مع الموروث. هل الهوية ثابتة أم متغيرة؟ وهل يمكن للذات أن تتحرر من قيود الموروث دون أن تفقد أصالتها؟ ومع ذلك، يبقى السؤال عن إمكانية تحوّل هذه الرؤية النظرية إلى ممارسة ثقافية أوسع، خاصة في ظل هيمنة الخطابات الأحادية، فهل من الممكن لنموذج إعادة الكتابة أن يكون فعالا خارج النصوص الشعرية، مثل الرواية أو الخطاب الديني؟ وإلى أي حد تعد إعادة الكتابة قطيعة مع الموروث؟ وهل يقتصر تأثير هذه النصوص على النخبة، أم يمكن أن تحدث تغييرا في الوعي الجمعي؟

المصادر

- إعادة كتابة الموروث، بحث في تفكيك أواصر الفكر الوثوقي، د. علي سرمد، مؤسسة الانتشار العربي، بروت، ٢٠٢٢.
- فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف، عادل حدجامي، المغرب، ٢٠١٢.
- أسس الفكر الفلسفي المعاصر، عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩١.